

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم
الله واولئك هم اولو الالباب

المصباح

١٣١٥

بشرى الحكمة من بشاره ومن يؤمن
بالحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما
يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوتي و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاحد غرة رمضان المعظم سنة ١٣١٨ - ٢٣ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٠)

المحاورات بين المصلح والمقلد

« المحاورة الثانية »

الاستدلال على قيام الساعة بالقرآن . طرق هذا الاستدلال وابطالها . عدم قبول قول بغير دليل . قطعية ادلة المسائل الاعتقادية . منعهم الاجتهاد انما هو في الفروع دون الاصول . الوقوف عند اجماع السلف . ادعاء المقلدين الاجتهاد في العقيدة . الخلاف في ايمان المقلد . حديث ان للقرآن ظهراً وبطناً . حكاية سيدنا عيسى مع المؤدب . الاستدلال على قيام الساعة بحروف اوائل السور . الطعن في هذه الاستدلالات عدم الثقة بأكثر ما يروى عن ابن عباس في التفسير . حكاية او ثمان عن بعض الشيعة في الاستنباط من اوائل السور

عاد الشيخ المقلد والشاب المصلح الى الكلام . وفاء بما تعاهدا عليه من بضعة ايام . وافتتح الشيخ المحاررة . واستأنف المناظرة . فقال (المقلد) : لم اترك الجواب عن كلامك في مجلسنا الماضي لعجز ولا لكونه مقنعاً وانما رأيت في بعضه إبهاماً وعموضاً لا بد لي من استيضاحه قبل الخوض فيه وهو قولك ان لك فهماً في كون ترك الشريعة هو العلة الأولى

او كما يقولون علة العطل لضعف المسلمين ربما كان غير ما اريد مع ان هذا
اصر واضح لا يصح ان يكون محلاً للاختلاف في الفهم . ورأيتك انكرت
المهدي وفي نكره قبلك احد من المسلمين الا من لا يعتد بانكاره كابن خلدون
فقد كنت سمعت عن المرحوم علي باشا مبارك ان هذا الرجل انكر المهدي
وطعن في اسانيد الاحاديث المروية فيه . وهو لم يكن عالماً وانما كان مؤرخاً .
ثم انك انكرت قرب قيام الساعة مع انه صار من البديهيات التي يعرفها
الصبيان والنسوان ولم ترض بدلالة الآية والحديث عليها كأنك تنكر ان
في الكتاب والسنة اخباراً عن المغيبات . ولم ترض بهذا كله حتى قلت
تلك الكلمة الكبيرة التي لو مزجت بماء البحر لمزجته وهي « ابطال
المذاهب » وجعل المسلمين على طريقة واحدة ولم افهم معنى هذه الطريقة
التي تنافي المذاهب والمعروف ان اهل طرائق التصوف كلهم متبعون
للمذاهب الأربعة بل الأقطاب الأربعة رضى الله عنهم كانوا كلهم شافعية
الا ان الشيخ عبد القادر رجع الى مذهب الحنبلية اخيراً لأجل احيائه
لأنه كاد يتدرس . وان اعترضت عليّ بقول القطب الشعراني ان هؤلاء
الاقطاب قد اطلعوا بالكشف على عين الشريعة وصاروا مجتهدين فاعتراضك
يكون حجة عليك لأنهم باطلاعهم على عين الشريعة رأوا ان جميع أئمة
المذاهب مصيبون وان اختلافهم رحمةٌ ولذلك لم يتركوا المذاهب بعد هذا
الاطلاع ولا اصرروا الناس بتركها . فكل كلمة من كلماتك تحتاج الى شرح
طويل ولذلك اخترت تأخير المناظرة لأراجع الكتب واستحضر النقول
للرد عليك وإرجاعك عن هذه الشبه المتمكنة منك

(المصالح) : اني اشترط في مناظرتنا هذه شرطاً لا بد منه ولا

يظهر الحق الا به وهو ان لا يقبل احداً للآخر مناقضة ولا معارضة الا بسند قوي . وبرهان جلي . ولا ينهض برهان شرعي على مسألة اعتقادية الا اذا كان نصاً قطعياً لآية قرآنية او حديث متواتر لان اخبار الآحاد وان صحت فهي ظنية الدلالة والظن في الاعتقاد ضلال . قال تعالى « ان الظن لا يغنى من الحق شيئاً » وقال « فاذا بعد الحق الا الضلال » . واذا كانت الاحاديث الصحيحة غير المتواترة لا يحتاج بها في المسائل الاعتقادية بالاتفاق فما بالك بكلام العلماء وبشارات الصلحاء اليست اجدر بعدم القبول ؟

(المقلد) : لقد قلت قولاً اصولياً لا ينكر ولكن العمل به من

وظيفة المجتهدين ويظهر لي انك تدعى الاجتهاد وانى اخشى على دينك من من هذه الدعوى فمن استبد برأيه زل والله تعالى يقول « فان زلتم من بعد ما جاءتكم اليينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم » وهو تهديد عظيم

(المصلح) : الآية حجة عليك لانها مصرحة بان الوعيد انما ينتظر من جاءت اليينات ولم ينظر فيها ويهتد بها فهي تناول المقلد كما تناول المعطل والجهول المهمل . ثم ان الذين ممنوا الاجتهاد انما ممنوه في الفروع واما المقلد في اصول الدين فاهون ما قالوا في شأنه ان ايمانه مختلف فيه وبعضهم ينقل الاجماع على عدم صحة ايمانه . واذا كان بحث الاجتهاد والتقليد من اهم المسائل التي تناظر فيها فالزامك اياي بالتقليد من غير دليل هروب من المناظرة وترك لها

(المقلد) : انا لست مقلداً في عقيدتي ولا آسراً احداً بالتقليد فيها وإنما اقول يجب على المجتهد ان يوافق بعض الأئمة في اجتهاده كالأئمة الأربعة والامامين الأشعري والماتريدي واتباعهم من العلماء والا كانت

كافراً أو مبتدعاً أو ضالاً فاسقاً

(المصلح) : عجياً لمن يدعي انه غير مقلد ويشترط في الاجتهاد التقليد . ولو قلت يجب ان لا يخرج عما وقع الاجماع من السلف على انه من الدين لسلمت لك تسليماً لأن الاجتهاد المؤدى الى الخروج عما كان عليه الصدر الأول عامة اجتهاد فيما وراء الاسلام وانما كلامنا في الاجتهاد في الدين الاسلامي . ووجود الخلاف بين الائمة المهتدين في مسألة دليل على انها غير مجمع فيها على شيء ومتى كانت كذلك يجب ان يأخذ الناظر فيها بما يقوم عليه الدليل عنده من غير ملاحظة موافقة احد أو مخالفته ولا معنى لكونه متبعاً للدليل الا هذا وان كثيراً من المشتغلين بالعلم الديني ينشون انفسهم بدعوى معرفة العقيدة بالدليل والبرهان ويحسبون انهم بقراءة ما كتبه السنوسي واضرا به من الأدلة على مسائل الاعتقاد قد سلموا من الخلاف في ايمانهم او مما حكاه السنوسي وغيره من الاجماع على كفر المقلد

(المقلد) : انني احب قبل الخوض في تحرير مسألة الاجتهاد والتقليد ان اقف على رأيك في الاستدلال على قيام الساعة بحساب الجمل ونحوه من الاشارات القرآنية ومن دلالة الحروف في اوائل السور فاني تسمت من كلامك السابق انك من اهل الجود على الظاهر المخالفين لأهل الكشف الذين يعتمدون على هذه الدلالات بل هم الذين استخرجوها من القرآن بصفاء باطنهم ونورانية قلوبهم . وانني اقبل شرطك اذا انت سلمت لي بهذه الدلالات

(المصلح) : ان شرطي يشمل هذه الدلالات ايضاً فاذا نهضت لك

حجة عليها فأنى اخضع لها لا محالة

(المقلد) : اما الاشارات القرآنية فقد ورد في الحديث « إن القرآن
 ظهراً وبطناً وحداً ومطعماً » . واما دلالة الحروف فقد كانت معروفة عند
 الانبياء السابقين فأنى رأيت في قصص الانبياء ان سيدنا عيسى عليه الصلاة
 والسلام اخذته والدته لما كان له سبعة اشهر من العمر الى الكتاب ليتعلم
 ولا يتحماك انه تكلم في المهدي . فقال له المؤدب قل ابجد فقال عيسى للمعلم
 هل تدري ما ابجد فعلاه بالدرة ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني وان
 كنت لا تدري فاسألني حتى افسره لك قال فسر له لى . فقال عيسى عليه
 السلام الألف آلاء الله والباء بهجة الله والجيم جمال الله والدال دين الله .
 هوّز - الهاء هول جهنم والواو ويل لأهل النار والزاي زفير جهنم .
 حطى - حطت الخطايا عن المستغفرين . كلن - كلمات الله لا مبدل لكلماته .
 قرشت - قرشهم فخرهم . فقال المؤدب خذنى ولدك ايتها المرأة فقد علم
 ولا حاجة له بالمؤدب . ولا شك ان هذا تعليم الهى يجب قبوله
 وقد ورد في ديننا ما يؤيد هذا . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
 انه قال في تفسير (الم) الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه . وقال
 في تفسير (الر) و (حم) و (ن) ان مجموعهما اسم الله (الرحمن) وروى
 عنه ايضاً انه قال في تفسير (الم) انا الله اعلم . وهذا يدل على ان الحرف
 يجوز ان يكون مأخوذاً من أوساط الكلمات وواخرها كما يجوز ان يكون
 مأخوذاً من أوائلها . وروى عنه ايضاً ان الألف من الله واللام من جبرائيل
 والميم من محمد اى ان القرآن منزل من الله تعالى بلسان جبرائيل على محمد
 صلى الله عليه وسلم . واما حساب الجمل فـ

(المصلح) : مهلاً حتى نفرغ من الإشارة ودلالة الحروف المفردة
 اما حديث ان للقرآن ظهراً وبطناً ويروى ظاهراً وباطناً فلا انكر انه رواه
 من اصحاب السنن ابن حبان وقد كان متساهلاً في الجرح ولذلك طعنوا في
 كثير من رجاله وان من الناس من يعتقد ان هذا الحديث من موضوعات
 الباطنية وما كل صحيح رواية يصح في الواقع . على ان العلماء فسروا الظاهر
 باللفظ او التلاوة والباطن بالتأويل أو الفهم وبعضهم قال الظاهر الاخبار
 بهلاك الاولين والباطن وعظ الآخريين . وقال ابن النقيب ان الظاهر هو
 المتبادر للعلماء من معنى الالفاظ والباطن اسراره التي تظهر لاهل الحقائق
 يشير الى حديث « الا ان يؤتى الله رجلاً فها في القرآن » ولا دليل على
 ان ذلك يكون غير الطرق المضبوطة في الدلالة . وقالوا ان الحد احكام
 الحلال والحرام والمطلع الاشراف على الوعد والوعيد او الحد منتهى ما اراد
 الله من معناه والمطلع ما يتوصل به الى معرفته ولم يقل احد ان الحديث
 يدل على ما ذكرت . واما حديث سيدنا عيسى مع المؤدب فلا يصح
 واما ما روى عن ابن عباس في التفسير فاكثره موضوع لا يصح
 لأنه مروى من طريق الكذابين الوضاعين كالكلبي والسدي ومقاتل بن
 سليمان ذكر ذلك الحافظ السيوطي وسبقه اليه شيخ الاسلام ابن تيمية بل
 ان رواية هؤلاء واضرابهم التفسير عنه هي المقصودة من قول الامام احمد
 رحمه الله تعالى « ثلاثة كتب ليس لها اصل المغازي والملاحم والتفسير » قالوا
 انه اراد كتباً مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها لعدم عدالة
 نافيها وزيادة القصاص فيها وذكرها منها تفسير هؤلاء بل نقلوا عن الامام
 انه قال في تفسير الكلبي « من اوله الى آخره كذب لا يحل النظر فيه » .

وقالوا ان كل من ينقل في تفسيره الاحاديث الموضوعية لا يوثق بتفسيره
بالمأثور ومن هؤلاء الثعلبي والواحدى والزنجشبرى والبيضاوى

وقد نص المحدثون في كتب الموضوعات على انه لم يثبت في تفسير
القرآن بالحروف نقل ومثلوا له بما وضعه المتدعة بعد وقوع الفتن في الملة
كقولهم في تفسير (حم عسق) ان الحاء حرب على ومعاوية والميم ولاية
المروانية والعين ولاية العباسية والسين ولاية السفينانية والقاف قدرة
المهدى . وقولهم ان العين عذاب الله والسين السنة والجماعة والقاف قوم
يقذفون آخر الزمان . وقالوا ان هذا كله موضوع باطل

نكتفي بهذا في ابطالها من حيث الرواية واما من حيث الدراية فكيف
تصح دلالة الاقتطاع والاختزال وليس لها حد ولا رسم تعرف به اذ يمكن
ان تجعل كل حرف مأخوذاً من أية كلمة فيها ذلك الحرف اذ لا ضابط للاخذ
من وضع او عقل او طبع وحينئذ يصح ان يستدل بهذه الحروف على
الكفر كما يستدل بها على الايمان . وأن يشار بها تارة الى الفلاح وطوراً
الى الخسران . وانت ترى ان هذا من الهذيان . الذى يجب ان يزه
عنه القرآن

(المقلد) : احسنت واصبت في هذه وثم طريقة أخرى للأخذ من
من حروف اوائل السور وهى ان تجمع هذه الحروف ويركب من
مجموعها كلام أو مما يبقى بعد حذف المكرر ومن الناس من استنبط أموراً
غيبية من مهملها أو معجمها ولا اطيل عليك في هذا فانك من سعة الاطلاع
فوق ما كنت اظن فاقولك في هذا ؛

(المصلح) : هذه الطريقة كسابقتها في الفساد واذكر فيها واقعة لطيفة

حدثت في بلاد الشام وهي ان بعض فلاة الروافض استنبط من هذه الحروف بعد حذف المكرر هذه الجملة (عليّ حق صراط نمسكه) واستدل بها على ان علياً كرم الله وجهه كان احق بالرسالة من محمد عليه الصلاة والسلام . وقد نمت هذه الجملة الى أحد أمرآء المسكرية فضايق بها ذرعا وحاول تحويلها الى ما يوافق مذهب السنة فلم يجد الى ذلك سبيلاً حتى هداه أحد الوجهاء الى بعض العلماء الأذكياء^(١) فكتب اليه ذلك العالم الفاضل ما نصه :

« بلغني ان بعض الرافضة عبت باوائل الكتاب المجيد فنير مألوفه . ونكر معروفه . وقدم واخر . فقتل كيف قدر . ثم استنبط منها (عليّ حق صراط نمسكه) مستدلاً بذلك على رأيه القاسد . ومعتقده الكاسد . ان علياً هو الاحق بالرسالة . فنقول حيث ارتضيت أوائل السور بيتنا حكماً . واستخرجت منها في زعمك حكماً . فلتنصرن أوائل السور الاخيار منا على الاشرار . ولتيزن بين اصحاب الجنة واصحاب النار . هذه اوائل السور تقول بلسان حالها في خطاب القرآن . وما فيه من البلاغة والبيان . « يحق لسامعك نصرته * ناصرته مسك عليّ حق * ما سعيّ لحق كنصرته * لظه كم سعيّ نصار حق »

ولم يرض من مثل هذه الجمل الا بعشر وجعل الجملة الأخيرة مطلقاً لأبيات نظمها في المسئلة وهو

(١) يريد باحد الوجهاء المرحوم أحمد باشا الصالح وكان يومئذ ترجمان الوالى وبالعالم المحيب المرحوم الأستاذ الشيخ عبد الفتى الرافعي الشهير وكان عائداً من المجاورة في دمشق الى بلده طرابلس الشام

لله كما سعى نصار حق فها أنا ذاك من نصارطه
وهذا الاستنباط للشيعة قديم وإنما يستدل به المعتدلون منهم على أحقية
علي بالخلافة لا بالنبوة . قال العلامة الألوسي في تفسير (الم)
« ومن الظرائف ان بعض الشيعة استأنس بهذه الحروف لخلافة
الامير علي كرم الله تعالى وجهه فانه اذا حذف منها المكرر يبقى ما يمكن
ان يستخرج منه (صراط علي حق نمسكه) ولك أيها السني ان تستأنس
بها لما أنت عليه فانه بعد الحذف يبقى ما يمكن ان يخرج منه ما يكون خطاباً
للشيعة وتذكيراً له بما ورد في حق الاصحاب رضي الله تعالى عنهم أجمعين
وهو (طرق سمك النصيحة) وهذا مثل ما ذكره حرفاً بحرف . وان
شئت قلت (صح طريقك مع السنة) ولعله أولى والطف . اهـ
(المقلد) : احسنت في هذه أيضاً ولا اراك تقوى على ابطال حساب
الجل لانه استعمال قديم . روى عن ابي العالية رضي الله عنه انه كان يرى
ان اوائل السور تدل على مُددا اقوام وآجالهم مستديلاً بحديث اليهود .
وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على اليهود لما جاؤه الم البقرة فحسبوه
وقالوا كيف ندخل في دين من مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والرواير فقالوا خاطت
علينا فلا ندري بايها نأخذ ووجه الدلالة انه اقرهم على استنباطهم بدم
الاعتراض وتلاوته لالمص وما بعدها على هذا الترتيب
«الكلام بقية»

